الإضمار (الكناية) وأنواعه
نماذج تطبيقية في سورة الكهف

م. م. صفا مؤيد حميد

ديوان الوقف السني – دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية

Indication and types
- Application models in Surat Al Kahf –

M.M. Safa M. Hameed
The Sunni Endowment
Department of Religious Education and Islamic Studies

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، القرآن الكريم هو الدافع الأول للبحث في لغة هذا الكتاب المعجز؛ ليكون معينا على الوقوف على أسراره الخفية، وموضوع (الإضمار وأنواعه) هي نظرة لكتاب الله تضيف شيئا إلى ما يصب في خدمة هذا الكتاب العزيز، فقد تنوعت الضمائر في سورة الكهف ما بين المتكلم والمخاطب والغائب، وهناك من الضمائر ما يستوجب ذكر المفسر له، وذلك يكون متقدما عليها، وأحيانا قد يسبق الضمير بمذكورين أو أكثر، وقد يكون الضمير عائدا على غير الأقرب له، بدلالة السياق الذي ورد فيه.

Research Summary

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the Messenger of Allah and his family and companions, the Holy Quran is the first motive to search in the language of this miracle book; to be certain to stand on its hidden secrets; There are consciences that need to be mentioned by the interpreter, and this should precede them. Sometimes the conscience may precede one or more, and the conscience may be returned to the nearest to it, in terms of the context Which is contained therein.

المقدمة

أكرم الله نبيه الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) بأنْ أنزل عليه القرآن بلسانٍ عربي مبينٍ، فارتفع شأن اللغة العربية باعتبارها لغة أعظم كتاب نزل على وجه الأرض، وأصبحت ميداناً واسعاً ومنبعاً ثقافياً عظيم المكانة ورفيع الشأن؛ لهذا نال بعناية النحاة والمؤلفين فقاموا بإعرابه وبيان معانيه وأساليبه وأوجه قراءته.فالقرآن الكريم هو الدافع الأول للبحث في لغة هذا الكتاب المعجز؛ ليكون معينا على الوقوف على أسراره الخفية. وموضوع البحث– الإضمار (الكناية) وأنواعه نماذج تطبيقية في سورة الكهف– عسى أن يكون نظرة لكتاب الله تضيف شيئا أو تنبه إلى ما يصب في خدمة هذا الكتاب العزيز.وقد تناولت هذا الموضوع على وفق الخطة الآتية التمهيد ، ثم مطالب أربعة، هي:

١. الضمير في اللغة والإصطلاح.
٢. أنواع الضمائر.
٣. مرجع الضمير.
٤. نماذج تطبيقية من مرجع الضمير الغائب في سورة الكهف.ثم خاتمة البحث وقد دونت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا، وختمت البحث بقائمة المراجع والمصادر التي أعانتني في كتابة البحث.وفي الختام أسأل الله عزَّ وجل أن يكون معينا لي على هذه الدراسة، وأن يسدد خطاي، وينبهني على ما فيه من الزلل والتقصير والأخطاء.

التمهيد

أ. نزولها وتسميتها[١]:

نزلت سورة الكهف في مكة المكرمة بعد سورة الغاشية، وهي من السور التي نزلت بعد الإسراء وقبيل الهجرة إلى المدينة المنورة؛ لهذا يكون نزولها في السنة الخامسة من البعثة. وقد سمّيت هذه السورة نسبة لقصة أصحاب الكهف التي ذكرت فيها، وتبلغ آياتها عشرا ومائة آية.

ب. فضل سورة الكهف:

روى الإمام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال"، هذه السورة العظيمة تستحب المواضبة عليها في كل ليلة جمعة، أو كل يوم جمعة، وتُقرأ ليلة الجمعة يوم الخميس بعد المغرب ، ويمكن أن تُقرأ بعد فجر يوم الجمعة قبل غروب الشمس ، فقد جاء عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن من يقرؤها يجعل له الله (عزَّ وجلّ) نوراً عظيماً جداً من مكانه إلى بيت الله الحرام، ولها فضل آخر لو ظهر الدجال، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) يأمرك أن تحفظ أول عشر آيات من سورة الكهف، وأولها: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾[٢] ، تحفظ أول عشر آيات أو آخر عشر آيات منها ، ففي رواية قال: "من حفظ آخر سورة الكهف عصم من الدجال"[٣].

ت. سبب نزولها:

جاء وفدٌ من قريش اليهود بالمدينة، وقالوا: أنتم أهل الكتاب، فأخبرونا عن صاحبنا هذا- محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)- فقال اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فقد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟، وسلوه عن الروح ما هي؟ فان أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، فانظروا في أمره ما بدا لكم، وأتى الوفد مكة وسألوا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال: "أخبركم بما سألتم عنه غداً، ولم يستثن أي: لم يقل إن شاء الله، فغاب الوحي نصف شهر، وبعدها نزلت سورة الكهف وفيها جواب لما سألوا[٤].

المطلب الأول الضمير في اللغة والاصطلاح

الإضمار في اللغة: الإخفاء، ويُقال: أضمر الشيء إذا أخفاه، ويُقال: أضمر الشي في نفسه شيئا إذا عزم بقلبه عليه. والمضمر: الذي تخفيه في النفس ويصعب الوقوف عليه[٥]. وعرفه اللغويين: اللفظ الموضوع للدلالة على المتكلم والمخاطب والغائب[٦]والضمير يطلق على(المضمر) في اصطلاح البصريين، أما الكوفيون يسمونه(مكنيا) و(كناية)؛ لأنه ليس باسم صريح، فلا فرق عندهم بين المضمر والمكني وإن اختلفتا لفظا[٧]. أمّا البصريون فيرون أنَّ المضمرات نوع من المكنيات ، فكل مضمر مكني وليس كل مكني مضمر[٨]. وقد ذكر سيبويه ذلك في كتابه[٩].وقد ذكر تمام حسان[١٠]

بأنَّ الضمير لا يدلّ على مسمى كالاسم، ولا على حدث وزمن كالفعل ولا على موصوف بالحدث كالصفة، ؛ لأن دلالة الضمير تتجه إلى المعاني الصرفية وهي عموم الحاضر ، أو الغائب دون دلالة على خصوص الغائب' أو الحاضر، وهذا ما قصده ابن مالك بقوله:

وما لذي غيبة أو حضور ... كأنت وهو سمّ بالضمير

المطلب الثاني أنواع الضمائر

وضع علماء النحو والصرف للضمائر أقساماً ثلاثة من حيث الدلالة على المتكلم والمخاطب والغائب، وقد فصّل ابن مالك ذلك بقوله:" المضمر والضمير: اسمان لما وضع من الأسماء لمتكلم، أو مخاطب أو غائب، متميزًا بنفسه كـــ(إنك) و(إنه)،أو بمصحوبه كـــ(أنا) و(أنت) و(إياي) و(إيانا) و(فَعَلْتُ) و(فَعَلْتَ) و(فَعَلْتِ) و(اذهبا) و(ذهبا)، فإن مصحوب الألف الدالة على حاضرين: الأمر والمضارع ذو تاء الخطاب، ومصحوب الألف الدالة على غائبين: الفعل الماضي، والمضارع ذو الياء"[١١].نستنتج مما سبق: بأنَّ الضمائر بنوعيها المتصلة والمنفصلة البارزة والمستترة تقسم على ثلاثة:

١. ضمائر المتكلم: أعرف الضمائر وأخص من المخاطب.
٢. ضمائر المخاطب: أخص من الغائب.
٣. ضمائر الغائب: أقل الضمائر خصوصية؛ لكون الاشتراك غير حاضر. وكذلك تقسم من حيث الموقع الإعرابي إلى ضمائر رفع ونصب وجر[١٢].

المطلب الثالث مرجع الضمير في سورة الكهف

إنَّ الضمائر بدلالاتها سواء أكانت للمتكلم أم للمخاطب أم للغائب لابدَّ لها من شيء يزيل إبهامها وغموضها ، ففي ضمير المتكلم والمخاطب يقتضي وجود مفسر الضمير(صاحبه) وقت الكلام، فهو إما متكلم حاضر أو مشاهد يكلمه أحد.أمّا ضمير الغائب فصاحبه غير حاضر ولا مشاهد[١٣]، فكان أضعف الضمائر من حيث التعريف بسبب:

١. ما ذكر أعلاه أنَّ صاحبه غير حاضر ولا مشاهد.
٢. يكون ضمير الغائب كناية عن النكرة، كما يكون كناية عن المعرفة. وهذا ما ذهب إليه بعض النحاة من أنَّ الضمير العائد إلى النكرة نكرة[١٤]. ولهذا كان مقدما في البحث على المتكلم والمخاطب، فهو أحوج بالدراسة والبيان قبل غيره. وأهم أحكام هذا المفسر(الغائب):
١. أن يكون متقدما على الضمير[١٥].
٢. أن يكون المفسر مذكورا ليبين دلالة المقصود.
٣. أن يكون الضمير راجعا إلى أقرب مذكور، وذلك إذا سبق بمذكورين أو أكثر، ولا يكون لغيره إلا بدليل، وبذلك يكون قد فقد المطابقة[١٦].

المطلب الرابع نماذج من الضمير في سورة الكهف

أ- **عودة ضمير الغائب إلى أقرب مذكور بعد مذكورين أو أكثر**.كما ذكرنا سابقا بأنَّ الضمير إذا سبق بمذكورين أو أكثر يكون راجعا إلى أقرب مذكور، ومنه قوله تعالى:﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[١٧] ، فضمير الرفع الغائب المستتر في قوله(أصبح)عائد على النبات الذي التف وتكاثف حتى خالط البعض منه البعض الآخر؛ بسبب ذلك الماء الذي نزل من السماء ، فسبق الضمير بمذكورين(الماء) و(النبات) إلا أنه عائد إلى أقرب مذكور له.وكذلك ورد ضمير النصب الغائب المتصل في (أنزلناه) المسبوقة بمذكور واحد وهو(الماء) ، وقد جاء مطابقا لمرجعه الذي جاء متقدما عليه .﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ ﴾[١٨] فضمير الغائب المتصل في(منه) يعود على الكهف وهو أقرب مذكور.

ب- **عودة الضمير على غير الأقرب**.وذلك في قصة ذي القرنين، كقوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ ﴾[١٩].فضمير الرفع الغائب (بلغ)و(وجد) عاد على ذي القرنين الذي ذكر في أول القصة ولم يكن قريبا منه. أمّا ضمير الرفع الغائبين في (يكادون) و(يفقهون) عاد على الأقرب له وهو(القوم)، وقد جاء مطابقا له.وجاء الضمير في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ ﴾[٢٠]ففي الآية كان ضمير الرفع الغائب المستتر في(اتخذ) وكذلك ضمير الجر الغائب المتصل في(سبيله) عادا على موسى (عليه السلام) لا الفتى، بدليل أنه أراد أن يبلغ مجمع البحرين في قوله:﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ ﴾[٢١]وقد عاد الضمير في(بلغا)و(بينهما) و(حوتهما)قد عاد على موسى والفتى اللذين ذكرا في الآية السابقة لهذه الآية. وقوله تعالى:﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ﴾[٢٢]ورد ضمير الغائب المرفوع في الفعل(قال) عائد على ذي القرنين بدليل السياق الذي دلت عليه الآيات الكريمة التي قبلها، وكذلك الهاء في(جعله) عائدة على السد الذي بناه ذا القرنين ومدى رصانته ومتانته[٢٣].وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ ﴾[٢٤]، فضمير الغائب في (منها) قد سبق بأكثر من مذكور، هما (الساعة) قريب و(جنته) بعيد ، غير أنه عاد على غير الأقرب وهو جنته في الآية السابقة ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ ﴾[٢٥]

ت- **إمكان عودة الضمير على شيئين مذكور وغير مذكور**.كقوله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [٢٦]، وضمير الغائب المتصل المجرور(لهم) بدلالته على جماعة الغائبين يحتمل أن يكون عائداً على أصحاب الكهف، أي: لم يكن أصحاب الكهف ولي يتولى حفظهم دون الله، ويحتمل أن يعود على معاصري النبي (عليه الصلاة والسلام) من الكفار الذين سألوه عن هؤلاء الفتية الذين غابوا[٢٧]. فأصحاب الكهف قد سبق ذكرهم مما سبق من الآيات، إلا أنَّ معاصري النبي(عليه الصلاة والسلام) لم يرد ذكرهم في القرآن. وفي قوله (أبصر به واسمع) يجوز أن يكون على:

١. معنى ما أبصره وأسمعه! على وجه التعجب، فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع منه.

٢. ويحتمل أن يكون المعنى: أبصر به، أي: أبصر بوحيه وإرشاده، هداك وحججك الحق من الأمور، وأسمع به العالم، فيكونان أمرين(إلزام)، لا على وجه التعجب[٢٨].وقوله تعالى:﴿ ۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾ ﴾ [٢٩].الضمير الغائبين في (بعضهم) جاء في موضع جر بالإضافة، أمّا من حيث عائدية الضمير فيحتمل:

١. أن يكون عائداً على يأجوج ومأجوج الذين يظهران في آخر الزمان.

٢. ويحتمل أن يعود على جميع الخلائق عند قيام الساعة عندما يختلط إنسهم بجنهم حيارى[٣٠].

أمّا الضمير نفسه في(فجمعناهم) فلا يكون إلا في يوم القيامة، عندما يجتمع جميع المخلوقات للحساب والجزاء على الأعمال.وقوله تعالى:﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾ [٣١]، يجوز في ضمير الغائبين الذي جاء في موضع نصب أن يكون عائدا على[٣٢]:

١. الذين اتخذهم شركاء، فيكون المعنى: ما أشهدت الذين اتخذتموهم أولياء خلق السموات والأرض ولم يشتركوا في تدبير العالم) بدليل قوله: وما كنتُ متخذ المضلين عضدا، فحلّ الاسم الظاهرموضع الضمير المتصل لبيان إضلالهم .

٢. الكفار الذين قالوا للنبي (عليه الصلاة والسلام) لن نؤمن بك إلا إذا طردت الفقراء من مجلسك ، وهو أقرب بدليل:

١. المراد بالظالمين هنا الكفار.

٢. كون الكفار جاهلين بما جرى به العلم في القدم من أصول السعادة والشقاء.

ث- إمكان عودة الضمير إلى كل من المذكورين.كقوله تعالى:﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧ ﴾ [٣٣]، فقد ورد في الآية نوعان من الضمائر متكلم يأتي ذكره لاحقا، وغائب، فضمير الغائب في(كلماته) يحتمل أن يعود على شيئين هما[٣٤]:

١. الله سبحانه وتعالى.

٢. الكتاب الذي أنزله الله تعالى. وقد ذكر الاثنين فيما سبق من الآيات.

وقوله تعالى:﴿ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢ ﴾ [٣٥].فالضمير الغائب في (لدنه) إمكان تعلقه بشيئين[٣٦]:

١. بالكتاب(القرآن الكريم)، و٢. ضميره (صلى الله عليه وسلم).

ج-عودة الضمير على معنى المذكور لا لفظه.

قد يأتي الضمير ولا يكون عائدا على لفظ يوافقه، وإنما عائدا على معناه الذي يطابقة، كإن يكون الضمير جمعا و المذكور مفرد، والضمير مفرد عائدا على مثنى، وغير ذلك كقوله تعالى:﴿ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ ﴾ ([٣٧]) .فالمذكور جنتين لفظ دالّ على اثنين والضمير العائد لها مفرد في(أكلها) غير أنه مثنى معنى عند البصريين، أيّ: أعطت ثمارهما التي يأكلها الناس[٣٨]. قد سبق شرحه أنَّ ضمير الغائب يتسم بالغموض والإبهام ، فهو أحوج الضمائر إلى وجود مفسر الذي يزيل ذلك الإبهام، لذلك يكون مفسر الضمير(صاحبه) على صورتين هما:

١. أن يكون مذكورا ومقدما على الضمير؛ لتفسير غموضه كما في الأمثلة الواردة في بداية هذا

٢. أن يعود الضمير على غير مذكور ، لكنه معلوم به فيستغنى عن لفظه ، ومرفوع اللبس فيه يقوم مقام الذكر له.وأهم مسوغات عدم الذكر:

١. حضور معنى المفسر في الذهن والعلم ، فلا يحتاج إلى ما يبينه لدلالة النص عليه.

٢. ذكر ما اشترك معه في الدلالة.

٣. ذكر مصاحبه.

٤. عود الضمير على مضاف محذوف ومما ورد ذكره في سورة الكهف من الإضمار غير المذكور المفسر في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ ﴾ [٣٩]

فضمير الجر الغائب المفرد في(عبده) عائد على النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) لأن الكلام يشير إليه، وفيه جانب من الإيجاز، تفخيما وتعظيما لشأنه(صلى الله عليه وسلم)الذي وصفه الله تعالى بالعبودية تشريفا له[٤٠].

وكذلك ضمير الرفع الغائب المستتر(هو) في (ولم يجعل) عائد على ذاته سبحانه وتعالى، ولا يحتاج إلى ما يفسره ؛ لأنه تفرّد وحده بإنزال الكتب السماوية.وكذلك في قوله تعالى:﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧ ﴾[٤١]فضمير الغائب في (دونه) عائد عليه سبحانه ،أي: لا ملجأ لك وموئلا تئل إليه من الله تعالى، ومعدلا تعدل عنه إليه[٤٢].وقوله تعالى:﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾[٤٣]و قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧ ﴾[٤٤]وقوله:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ ﴾[٤٥]ورد في الآيتين الكريمتين ضمير الرفع المخاطب المستتر(أنت) في(اصبر) و (ولا تطعْ) و (اتلُ) و(لن تجدَ) و(ولا تقولنَّ) جميعها العائد فيها محذوف، لكنه حاضر في الذهن معلوم ولا يحتاج إلى ما يفسره ، ألا وهو محمد(عليه الصلاة والسلام).وقوله تعالى: ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ٣ ﴾ [٤٦]فضمير الغائب المجرور في (فيه) يعود إلى الجنة؛ لأن مكان مكوث المؤمنين معلوم، ولا يحتاج إلى ما يفسره، أي: ماكثين في الجنة[٤٧].ومما ورد من ضمير المتكلمين في سورة الكهف﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ ﴾[٤٨] فقد جاء ضمير الرفع للمتكلم على صورتين: منفصل(نحن) ومتصل(نا) في (زدناهم). وإذ أسند الله تعالى ضمير الواحد إلى الجمع؛ تعظيما لنفسه، ولا شك أنه لا يوجد أحد أعظم منه سبحانه، فجميع صيغ الجمع للمفرد للتعظيم[٤٩].وكذلك ضمير المخاطب جاء في مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى:﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ ﴾ [٥٠] فالضمير المتصل والمستتر في(دخلتَ) و(قلتَ) و(جنتكَ) و (ترنِ) جاءت في موضع رفع وجميعها مذكورة الصاحب(المفسر)؛ لكونه حاضر مع المتكلم في مكان واحد وهو(صاحب الجنة الكافر).

الخاتمة

بعد توفيق الله تم هذا البحث تبين ما يلي:

١. قد تنوعت الضمائر في سورة الكهف ما بين المتكلم والمخاطب والغائب.
٢. هناك من الضمائر ما يستوجب ذكر المفسر له، وذلك يكون متقدما عليها ، وأحيانا قد يسبق الضمير بمذكورين أو أكثر .
٣. قد يكون الضمير عائدا على غير الأقرب له، بدلالة السياق الذي ورد فيه.
٤. استحوذ ضمير الغائب معظم مواضع البحث، وبدرجة كبيرة؛ لإنه أحوج ما يحتاج إلى ما يفسره ويبين معناه كما ذكرت سابقا.

٥. لبيان الإعجاز القرآني قد يستغنى عن ذكر المفسر ويبقى الضمير معلوم الدلالة ؛ وذلك من باب الإيجاز(قلة اللفظ وكثرة المعنى).

وبعد هذا الجهد اسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت وأدلوت بدلوي ونلت حظا من هذا النبع الوفير ، فإن وفقت فنعمة وفضل ومنة من الله وإن قصرت فحسبي نيتي في خدمة هذا الكتاب العزيز.

والحمد لله رب العالمين

مراجع البحث

القرآن الكريم.

١. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة،

٢. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)،تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت،

٣. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم

٤. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت،

٥. تفسير الكهف، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،

٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت،

٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٩. شرح التصريح على التوضيح، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: ٩٠٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان،الطبعة: الأولى

١٠. شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة: الأولى.

١١. شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي أبو البقاء موفق الدين الأسدي الموصلي المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ
١٢. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى : ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي،الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.
١٣. شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف، شمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز أو دنقوز (المتوفى: ٨٥٥هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٩ م، وبهامشه: «الفلاح في شرح المراح» لابن كمال باشا (المتوفي:٩٤٠هـ).
١٤. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار الوطن
١٥. شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة
١٦. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
١٧. الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ –
١٨. اللغة العربية مبناها ومعناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، الطبعة الخامسة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٢٠. مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي) ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي
٢١. معالم التنزيل في تفسير القرآن، مختصر تفسير البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.
٢٢. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر
٢٣. الموسوعة القرآنية ، خصائص السور، جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ.
٢٤. النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.

هوامش البحث

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية ، خصائص السور:١٢٥/٥.

(٢) الكهف: ١.

(٣) ينظر: شرح رياض الصالحين:١١/٩٥.

(٤) يُنظر: أيسر التفاسير للجزائري:٢٣٧/٣.

(٥) يُنظر: المعجم الوسيط،(ض م ر): ٥٤٤/١، والقاموس المحيط: ١/ ٤٢٩.

(٦) ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى: ١/ ٩٥.

(٧) يُنظر: شرح المفصل لابن يعيش: ٢٩٢/٢.

(٨) يُنظر: المصدر نفسه.

(٩) ينظر: الكتاب: ٢/ ٣٥١.

(١٠) يُنظر: اللغة العربية مبناها ومعناها:١٠٨.

(١١) شرح الكافية الشافية:٢٢٥/١، ويُنظر: توضيح المقاصد والمسالك:٣٦٣/١،

(١٢) يُنظر: شرح التصريح على التوضيح: ١٠٥/١.

(١٣) يُنظر: النحو الوافي: ١/ ٢٥٥.

(١٤) شرح التصريح على التوضيح:٢٩٤/٢.

(١٥) النحو الوافي: ٢٥٦/١.

(١٦) يُنظر: شرح التصريح على التوضيح:٤١٦/١.

(١٧) الكهف: ٤٥.

(١٨) الكهف: ١٧.

(١٩) الكهف: ٩٣

(٢٠)الكهف: ٦١.

(٢١) الكهف: ٦٠.

(٢٢) الكهف: ٩٨

(٢٣) ينظر: روح المعاني: ١٦/ ٤٢.

(٢٤) الكهف:٣٦.

(٢٥) الكهف:٣٥.

(٢٦) الكهف: ٢٦.

(٢٧) يُنظر: تفسير القرطبي: ٣٨٨/١٠.

()٢٨ يُنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٥١٠/٣.

(٢٩) الكهف: ٩٩.

(٣٠) يُنظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢٠٩/٥.

(٣١) الكهف: ٥١.

(٣٢) يُنظر: التفسير الكبير:٤٧٣/٢١.

(٣٣)الكهف: ٢٧.

(٣٤) ينظر: التفسير الوسيط للطنطاوي: ٥٠٧/٨.

(٣٥)الكهف: ٢.

(٣٦) تفسير روح المعاني:٢٠٢/١٥.

(٣٧)الكهف:٣٣.

(٣٨) ينظر: التفسير الوسيط:٥١٤/٨.

(٣٩) الكهف: ١.

(٤٠) التسهيل لعلوم التنزيل:١٨١/٢.

(٤١) الكهف: ٢٧.

(٤٢) ينظر جامع البيان: ٦٥١/١٧.

(٤٣) الكهف: ٢٨.

(٤٤) الكهف: ٢٧

(٤٥) الكهف: ٢٣.

(٤٦) الكهف: ٣.

(٤٧) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣/ ٣٠.

(٤٨) الكهِف: ١٣.

(٤٩) ينظر تفسير الكهف:٢٦.

(٥٠) الكهف: ٣٩.